أهمية الحفاظ على الموروث الحضاري لمدينة الزبير

أ. م.د عباس عبد الحسن العيداني
كلية التربية ـ قسم الجغرافية
م. م قاسم مطر عبد الخالدي
مركز دراسات البصرة

• ملخص

تشكل المواقع الأثرية والبيوت السكنية التراثية أغلب التراث المعماري في مدينة الزبير التي ترجع الى العهد العثماني من التاريخ الإسلامي، ولذلك تركز هذه الدراسة على تلك المباني لأهميتها من جهة وكونها تتعرض للأخطار التي تهدد بقائها من جهة أخرى. تناولت هذه الدراسة إحصائية لعدد ومواقع تلك المباني وبيان حالتها العمرانية من خلال دراسة ميدانية في احياء المدينة المختلفة، كما تم الكشف عن الاخطار التي تواجهها كالهدم والتخريب وسوء الاستخدام وغيرها من المشاكل التي تعاني منها، وقد اظهرت الدراسة المعوقات التي تواجه عمليات الحفاظ على تلك المباني من خلال استمارة استبانة لسكان البيوت الاثرية، وتخلص الدراسة الى وجود اخطار محدقة تتطلب تدخلاً سريعاً ومعالجة حقيقية من الجهات المسؤولة للحفاظ عليها وضمان بقائها، وهذا الصدد تقترح الدراسة بعض الحلول والتوصيات التي من شانها التغلب على تلك المعوقات والمساهمة في الحفاظ على تلك المواقع والمباني الاثرية في مدينة الزبير.

Summary:

are archaeological sites and the majority of the residential houses of architectural heritage in the town of Zubayr, which returns to the Ottoman period of Islamic history, and therefore this study focused on those buildings are not important on the one hand and being exposed to the dangers that threaten its survival on the other. This study examined statistics of the number and locations of these buildings and indicate the status of construction through a field study in reviving the city's different, as was revealed the dangers faced by Kalhedm, vandalism and misuse and other problems you are experiencing, The study showed the obstacles facing operations to maintain those buildings from through a questionnaire to residents of houses archaeological study concludes that there are significant dangers require rapid intervention and the real deal from those responsible for maintaining them and ensure their survival, and in this regard, the study suggests some solutions and recommendations that would overcome these obstacles and contribute to preserve the archaeological sites and monuments in the city Zubair

مُقَدِّمَة

يمثل التراث المعماري التاريخي الجانب المادي من التراث الحضاري وفي الوقت ذاته يعكس الظروف الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والمعمارية التي مرت بها الشعوب خلال التعاقبات الزمنية المختلفة وهو كذلك استجابة مباشرة لما مرت به الأمم السابقة ومرآة تعكس عراقة وأصالة المجتمعات ومدى ارتباطها بالمكان[1]. وبما ان العمارة كانت وما زالت المترجم الحقيقي لتطور الشعوب إذ من خلالها يمكن لمس إنجازات الشعوب وتفاعلها بعضها مع بعض، لذلك يجب الحفاظ على هوية وأصالة هذا التراث في مدن العراق ويعد التراث المعماري في مدينة الزبير مؤشراً ودليلاً على ذلك فهو مازال شاهداً حياً يعبر بصدق عن الإرث الأدبي والثقافي والاجتماعي والحضاري العراقي، كما ويعكس التفاعل الإيجابي مع ظروف المناخ السائدة والتي تتصف بالمناخ الصحراوي الجاف، الاستجابة لمتطلبات الحياة المختلفة لاسيما ما يتعلق منها بالوضع الاقتصادي والعادات والتقاليد، فضلاً عن الاستفادة من مواد البناء المحلية المتوفرة، ولهذا يجب بذل كل الجهود من اجل الحفاظ على بقاء واستمرار هذا التراث للأجيال اللاحقة سيما في ظل ما تشهده مدينة الزبير من نمو سكاني وزحف عمراني حديث وتيارات التطوير والتغيير ناهيك عن إقامة الكثير من المساكن العشوائية والمعامل الصناعية الأهلية داخل وحول المواقع الأثرية في المنطقة، والتي تهدد باندثار ما تبقى من تراث تاريخي محلي وتقطع الصلة بالماضي وهو ما ينذر بحدوث خلل حضاري وثقافي في المدينة، اضف الى أن الحفاظ على التراث المعماري يعد عنصراً من عناصر الاستدامة ومصدر من مصادر الدخل لأنه احد عناصر السياحة والثقافة، ولذلك فان الحفاظ عليه يمكن اعتباره فضلاً عن أهميته الحضارية استثمارا للدخل ومنعشاً للاقتصاد المحلي، اذا ما تم توجيهه بشكل صحيح، ولكن في ظل ضعف القوانين والتشريعات الخاصة بالحفاظ على الموروث

التاريخي في مدينة الزبير وعدم وجود آليات فاعلة لتطبيقها، يواجه العاملون في هذا المجال الكثير من الصعوبات التي تعيق عملية الحفاظ على الإرث الحضاري أذا لم تتوفر حلول مناسبة تسهم في التخفيف من حدتها، وان هناك الكثير من المواقع الأثرية المهمة بدون حراسة وهي عرضة للتخريب والسرقة والهدم*

• أهمية الدراسة

تكمن أهمية هذه الدراسة كونها تمثل أول دراسة تتناول أهمية الحفاظ على الموروث التاريخي في مدينة الزبير، عبر العصور والقرون المختلفة فيها مهما تعددت الأديان والمذاهب فكلها تعد الموروث الحضاري ليس لأمة أو لدين معين. ولكنه موروث للإنسانية ككل ولذلك يجب الاهتمام بهذا الإرث الحضاري.

• مشكلة البحث

تكمن مشكلة البحث في وجود مبان تاريخية مهملة وغير مستغلة وحالتها متدهورة، ووجود أماكن من شانها أن تساهم في رفع المستوى الاقتصادي ولها مردود ايجابي اذا تم استغلالها بشكل جيد، فضلاً عن ضرورة الحد من التداخل بين النسيج الحضري القديم مع الحديث.

• موقع منطقة الدراسة

تقع منطقة الدراسة في الجزء الجنوبي الغربي من محافظة البصرة، بين دائرتي عرض (١٠ ٣٠ – ٢٤ ٣٠) شمالاً وبين قوسي طول (٤٠ ٤٧ – ٤٤ ٤٧) شرقاً، أما حدودها الإدارية فيحدها من الشرق قضاء الفاو وقضاء ابي الخصيب ومن الشمال الشرقي قضاء البصرة ومن جهة الشمال قضاء المدينة ومحافظة ذي قار ومن الغرب محافظة المثنى بينما تشكل حدودها الجنوبية جزء من الحدود الدولية بين العراق

* لقاء مع مدير الآثار والسياحة، الخميس ٣/ ٢ / ٢٠١١. الساعة الرابعة عصراً في داره

والكويت، خارطة (١).

• هيكلية الدراسة

قامت هذه الدراسة إلى حد كبير على العمل الميداني، لأهمية هذا العمل في تحقيق الهدف، اذ تم مشاهدة وتصوير وتوقيع المواقع الأثرية على خارطة (٢) باستخدام نظام(GPS)، للوقوف على حالتها المعمارية وتشخيص الأضرار التي لحقت بها جراء عدم الحفاظ عليها وعدم صيانتها وترميمها بالشكل الصحيح وهذه المواقع تشمل (موضع البصرة القديم، جامع البصرة (الخطوة)،جامع وضريح الزبير بن العوام، ضريح طلحة بن عبيد الله، ضريح الحسن البصري و ابن سيرين)، كما اعدت استمارة استبانة كأداة رئيسة لجمع البيانات، ملحق(١)، للبيوت التاريخية في المحلات القديمة (الرشيدية، الساحلية، سورية)، بواقع (٤٠ استمارة وبنسبة (١٠ ٪) من مجموع تلك البيوت.

خارطة (١)

موقع منطقة الدراسة بالنسبة إلى محافظة البصرة

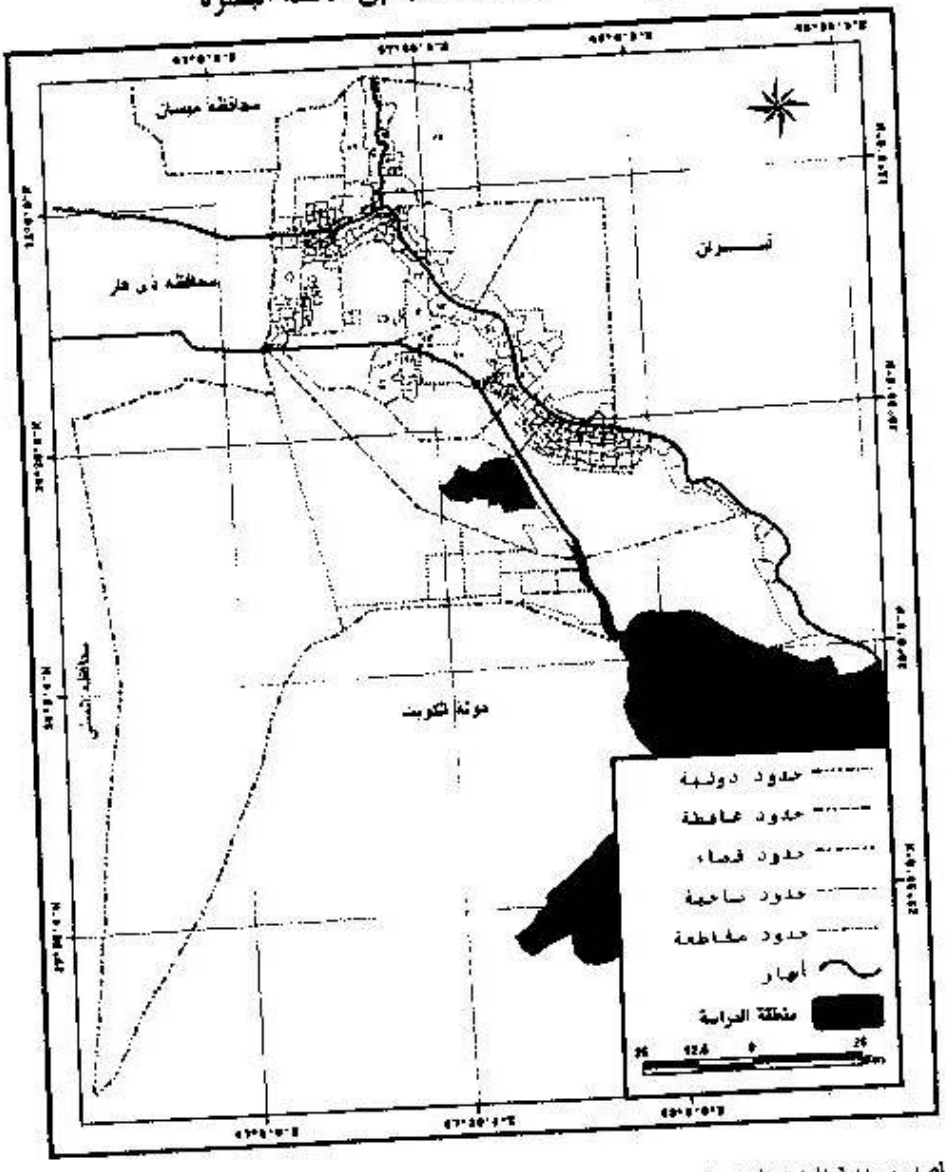

المصدر: وزارة الموارد المائية، الهيأة العامة للمساحة، خارطة محافظة البصرة الادارية، بمقياس رسم ١: ٥٠٠٠٠٠، قسم الترسيم، مطبعة الهيأة، بغداد، ٢٠٠٧.

خارطة (٢)

الأماكن الأثرية في مدينة الزبير باستخدام نظام (GPS)

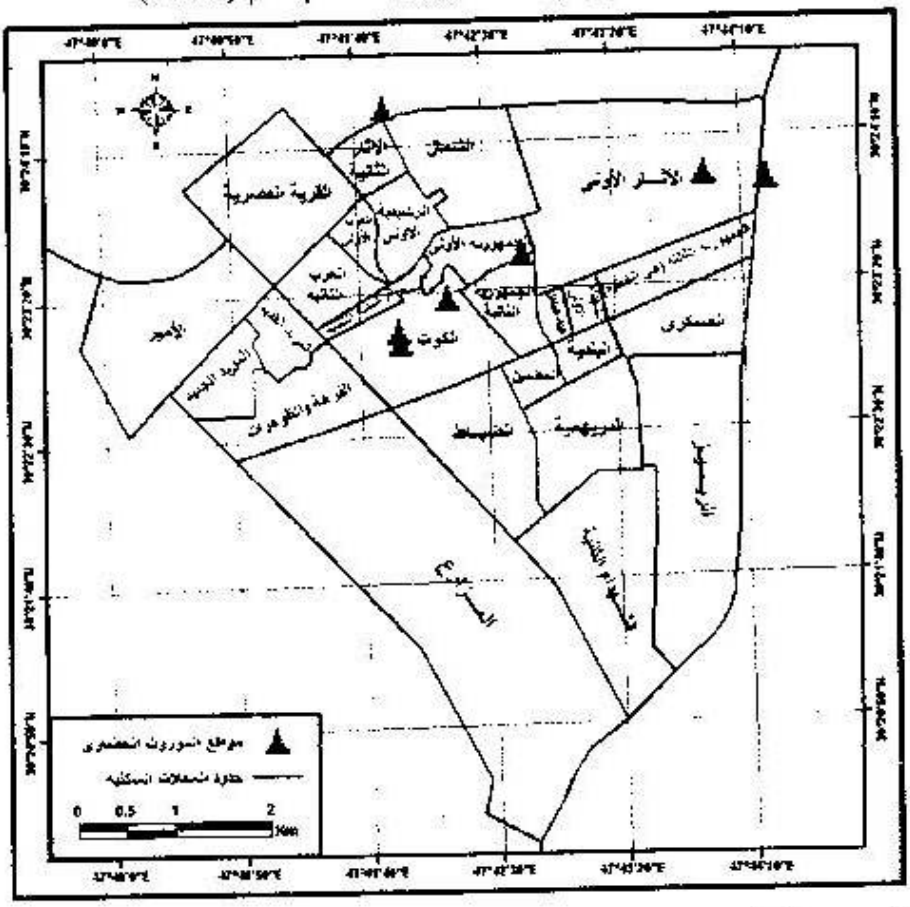

المصدر: اعتماداً على:

١. مرئية فضائية لمدينة الزبير للقمر الصناعي لاندسات، التقطت بتاريخ ٩ / ١١ / ٢٠٠٩.

٢. مديرية بلدية قضاء الزبير، الشعبة الفنية، خارطة التصميم الأساسي لمدينة الزبير، بمقياس رسم ١ / ٢٠٠٠٠، ٢٠٠٨.

أولاً: الاطار النظري للدراسة

١. نبذه عن مدينة الزبير

تعد مدينة الزبير من المدن الإسلامية العريقة اذ يرجع تاريخ إنشائها عام (٦٥٨) م قرب ضريح الزبير بن العوام الذي دفن في وادي السباع[١] وهي من المراكز التجارية المهمة في تلك الحقبة الزمنية اذ ان القوافل التجارية الصاعدة منها تتجه بتجارتها الى الشام، والنازلة تتجه الى البحر ونظراً لوعورة الطريق والجفاف في هذه المنطقة تضطر القوافل الى اتخاذ موقعها من الماء والراحة عند هذه النقطة.

بعد استيلاء العثمانيين على البصرة سنة ٩٥٣ هـ(١٥٤٦م) ولاهتمامهم ببناء الأضرحة أمر السلطان سليم الثاني ببناء قبة ومسجد حول قبر الزبير وذلك في عام ٩٧٩ هـ (١٥٧١م)[٢] مما شجع الناس للتجمع والاستيطان قرب المسجد ثم كان التضريح وطلباً للأمان والاستقرار، وبعد ذلك في عام (١٧٩٧م) تم بناء السور حول المدينة جوداً من خطار الجماعات عليهم من الجهات الباقية والقبائل الأخرى وبعد ذلك بدأ الناس ببناء مساكنهم قرب الضريح وأصبح قبر الزبير محاطاً بالمساكن من جميع الجهات. وقد كان لهذا التنوع الحضاري الأثر الواضح على تشكيل الملامح العمرانية لمدينة الزبير والتي تطورت على مدى التاريخ مستفيدة من خصائص المواقع التاريخية التي مرت عليها. وتميزت مدينة الزبير بموقعها الجغرافي المتميز ما بين إقليم الهضبة الغربي امتداداً لهضبة نجد وإقليم السهل الرسوبي، فضلاً عن موقعها على ميناء خور الزبير وهو ما جعلها مركزاً تجارياً بين دول الخليج العربي ودول الشام، مما أدى إلى نموها اقتصادياً وثقافياً وظهور العديد من الأبنية والمرافق العامة لخدمة التجار والمسافرين. وما زالت مدينة الزبير تضم العديد من المواقع والمباني الأثرية كقبور الصحابة الزبير وطلحة والحسن البصري وجامع البصرة (مسجد عقبة بن نافع (المظلوم)) فضلاً عن المواقع الأثرية لمدينة

البصرة القديمة والبيوت التاريخية والتي امتازت بالتصميم الهندسي المميز والذي يلائم البيئة الصحراوية في مدينة الزبير.

٢. التطور التاريخي لمفهوم الحفاظ على التراث

أن مفهوم الحفاظ* قد تطور في الخمسينات والستينات من القرن العشرين وتكلل بصدور العديد من القرارات الهامة التي تعنى بحماية المدن الأوربية التاريخية، يتبعها في مطلع السبعينات قانون يتعلق بحماية التراث الثقافي، على سبيل المثال لقرارات مدينتي سيلن وزيورخ[٤]. لقد تباينت قوانين الحفاظ على الموروثات المعمارية التاريخية بين استخدام طريقة التجديد او اعادة التأهيل او الجمع بين أكثر من طريقة علما ان ما يستخدم من طريقة في مدينة قد لا يحمل النتائج الإيجابية نفسها عند تطبيقه على مدينة أخرى. ومن الجدير بالذكر فأن المناطق التاريخية تعرف حسب معاهدة اليونسكو ١٩٧٦م: أنها كل مجموعة من الأبنية والمساحات (الفضاء)، بما فيها المواقع الأثرية التي تشكل مستوطناً بشرياً في بيئة حضرية او ريفية[٥].

يعود تاريخ التشريعات الخاصة بحماية التراث الحضاري في العراق الى عام ١٩٢٤ وهو تاريخ تشريع القانون العراقي الأول للآثار، وتبعه قانون الآثار رقم ٥٩ لسنة ١٩٣٦ الذي مازال العمل به قائماً مع إضافة بعض التعديلات عليه مثل قانون رقم ١٢٠ لسنة ١٩٤٧ وقانون ١٦٤ لسنة ١٩٥٧ وقد كانت مسؤولية الحفاظ تقع على عاتق مديرية الآثار التي أصبحت عام ١٩٧٩ مؤسسة عامة للآثار والتراث بموجب القانون رقم ٨٠ الذي دعى الى توثيق كل الأبنية القديمة والمواقع التاريخية من قبل الجهات المسئولة وجمع الوثائق والمعلومات التي تخدمها، وقد عد القانون كل بناء مشيد قبل عام ١٧٠٠ م اثراً ثابتاً او بناءً قديماً وأعطى السلطات الحكومية حق استملاك أي

---

*الحفاظ: هو العملية التي تتضمن كل الإجراءات والأساليب التي توفر للموروث البقاء لأطول مدة ممكنة في حياة المجتمع.

وحدة قديمة او موقع تاريخي، كما وضعت شروط على مالكي او شاغلي هذه الوحدات بعدم التصرف بالمواد الإنشائية وتغيير معالمها واستغلالها بالطريقة التي تؤدي الى تدميرها او تهديدها وقد أعدت لذلك دراسات لتطوير مراكز المدن القديمة على مستوى العراق من قبل جهات رسمية متخصصة او شركات تطويرية او دراسات عليا[٦].

• ثانيا: الاطار العملي للدراسة

١. المواقع الأثرية والتاريخية لمدينة الزبير

أ. موضع البصرة القديم

يقع حاليا شمال منطقة الدراسة والذي مازالت آثاره باقية صورة(١)، تأسست مدينة البصرة الراشدية سنة ١٤ هـ الموافق ٦٣٥ م تحت إشراف عتبة بن غزوان المازني وكان تأسيسها نابعا من التطورات العسكرية أثناء الفتوحات الإسلامية، ومن خلال الدراسة الميدانية تبين بان هذا الموقع المهم لم يحظى بأي اهتمام للمحافظة عليه، وان من أهم المشاكل التي تواجه موضع البصرة القديم هي مشكلة التجاوزات المتمثلة بإنشاء معامل الحصى والجص وبناء الدور السكنية بشكل عشوائي وخارج ضوابط التخطيط العمراني، ومما ساعد في تفاقم المشكلة هو عدم اتخاذ إجراء قانوني رادع لها من قبل السلطات المحلية في منطقة الدراسة، كما توضح الصورة عدم وجود سياج لحفظ هذا الموقع الأثري المهم وأصبح مكبا للنفايات ورمي الأنقاض.

صورة (١) موضع مدينة البصرة القديم

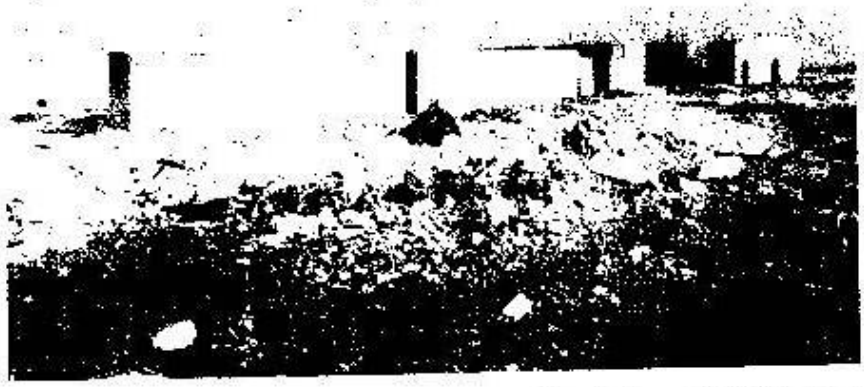

المصدر: الدراسة الميدانية، صورت بتاريخ ٢٩- ١- ٢٠١١

ب. جامع ومسجد البصرة (الخطـوة)

تضم مدينة الزبير حالياً أكثر من ٥٢ مسجداً وجامعاً بنيت عبر ازمان مختلفة في تاريخ المدينة، تحتل مساحة١٦٥٤٢٤ مترا مربعاً[١٥] اي ما يعادل ١٦،٥ هكتاراً وتشكل نسبة (٥٠،٥%) من مساحة المدينة الكلية، وتمثل الصورة (٢) جامع مسجد البصرة الذي شيده عقبة بن نافع سنة ١٤ للهجرة والذي يطلق عليه خطوة الإمام علي (ع) نسبةً لصلاته وهو من أفضل المواقع التاريخية الدينية في منطقة الدراسة اذ يؤمه المسلمون في كل المناسبات الدينية، وقد شيد حول المسجد القديم مسجداً اخر في عام ١٩٩٠م وأحيط بسياج كبير، الا انه لم يكن هناك اي اهتمام بالمنارة القديمة حيث تفعل الرياح والرطوبة والأمطار فعلها فتسقط الكثير من أجزائها بمعنى لا يوجد اهتمام لهذا الصرح العظيم كما يظهر في الصورة.

صورة (٢) مسجد البصرة القديم (الخطوة)

المصدر: الدراسة الميدانية، صورت بتاريخ ٧-٣-٢٠١١

ت. جامع وضريح الزبير بن العوام (رض)

يعد ضريح وجامع الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد،النواة الأولى لمدينة الزبير صورة(٣)، ولد سنة ٢٨ قبل الهجرة، وقتل في معركة الجمل في وادي السباع سنة

٦٥٨م، ويعد مسجد الزبير احد المساجد التي تقام فيها صلاة الجمعة والذي يقع وسط المدينة شرق محلة الكوت ويحتضن قبر الصحابي الجليل الزبير بن العوام (رضي الله عنه) وهو أول مسجد في المدينة شيده الأتراك بعد ان احتلوا البصرة سنة ٩٥٣ للهجرة وقد تم تأسيسه ٩٧٩ للهجرة وتعلو ضريح الزبير قبة كبيرة وبالقرب منه من جهة الشرق قبر عتبة بن غزوان مؤسس مدينة البصرة القديمة، ومن ملاحظة الصورة للقبة الداخلية نلاحظ التهرؤ والبقع من اثر الرطوبة.

صورة (٣) قبة ضريح الزبير بن العوام (رض)

المصدر: الدراسة الميدانية، صورت بتاريخ ٧-٣-٢٠١١

ث. ضريح طلحة بن عبيد الله

يقع الضريح في الجزء الشرقي لمدينة الزبير في الفضاء الكائن بين الزبير والبصرة، وقد

قام السلطان سليم الثاني ببناء القبة فوق الضريح سنة ٩٧٩ لنهجرة الموافق ١٠٣١م، وفي سنة ١٢٩٣هـ- ١٨٧٨م قام السلطان عبد الحميد الثاني بتصميم المرقد. ثم تم بنائه من جديد في مطلع التسعينات من القرن الماضي، وقد تعرض للتفجير عام ٢٠٠٦ اي بعد الاحتلال الامريكي بثلاث سنوات من قبل مجهولين والصورة (٤)، توضح الاضرار التي لحقت بهذا التراث منذ أكثر من خمسة سنوات و لم يتم تعميره لحد الان.

صورة (٤) توضح الدمار في قبة وضريح طلحة بن عبيد الله (رض)

المصدر: الدراسة الميدانية، صورت بتاريخ ٧-٣- ٢٠١١

ج. ضريح الإمام الحسن البصري (رض)

ولد الإمام الحسن البصري سنة ٢١ هـ في المدينة المنورة وفي سنة ٣٧ هـ انتقل الى البصرة فكانت مرحلة التلقي والتعليم. توفي الحسن البصري عشية يوم الخميس في أول

رجب سنة ١١٠ هـ ودفن في الموضع الحالي لمدينة الزبير وقد سميت المقبرة باسمه (مقبرة الحسن البصري)، صورة (٥) توضح القبة المدفون فيها وكذلك بجواره ابن سيرين وهو أبو بكر محمد بن سيرين البصري التابعي الكبير، ولد ابن سيرين في خلافة عثمان بن عفان، اشتهر في تفسير الرؤيا والحديث والفقه وتوفي سنة ١١٠ هـ بعد الحسن البصري بمائة يوم وكان عمره تيفاً وثمانين، ويلاحظ من الصورة البقع الموجودة على القباب بسبب العوامل الجوية.

صورة (٥) قباب ضريحا الحسن البصري وابن سيرين(رض)

المصدر: الدراسة الميدانية، صورت بتاريخ ٢-٢- ٢٠١١

ح. قصر ال زهير

وهو قصر يحي ال زهير أول شيخ يتولى على مدينة الزبير وفي عهده تم بناء السور سنة ١٢١١ه الموافق ١٧٩٨م بإشراف قاضي الزبير بن جديد وقد استمرت مشيخته الى

سنة ١٢١٣ه الموافق ١٧٩٨م وهو مؤسس محلة الزهيرية، ويلاحظ من الصورة (٧) بقايا القصر في محلة الزهيرية والذي يدعو الى الاهتمام والمحافظة على بقية هذا الموروث المعماري

صورة (٧) توضح بقايا قصر ال زهير

المصدر: الدراسة الميدانية، صورت بتاريخ ٢٩-١-٢٠

خ. البيوت الأثرية في مدينة الزبير

تتميز البيوت التقليدية التاريخية في منطقة الدراسة بكثير من العناصر التي تعبر عن فن العمارة الإسلامية مثل المدخل المنكسر لتحقيق الخصوصية وحجب أهل البيت وخاصة من النساء عن أعين الداخلين للبيت، وكذلك الفصل ما بين أماكن الرجال والنساء ووجود الفناء الداخلي (الحوش) والذي يعد احد المعالجات للبيئة الصحراوية التي اشتهرت بها العمارة في المدن العربية الإسلامية اذ يعمل هذا الفناء على توفير فراغ خاص لساكني المنزل للاتصال بالبيئة الخارجية وتصل من

خلاله الإضاءة والتهوية المطلوبة للفراغات المحيطة به فضلاً عن وجود الممرات الهوائية

(باكديرات)* والتي تبدأ من داخل الغرف وترتفع الى الاعلى موازية للجدران لتنتهي عند اعلى جدار السطح بشكل مقسم الى فتحة واحدة او أربع فتحات ليكون أشبه بالبريد المركزي خلال فصل الصيف الحار في منطقة الدراسة.

٢. الأخطار التي تواجه البيوت الأثرية في منطقة الدراسة.

تتعرض البيوت السكنية الأثرية في مدينة الزبير الى أخطار محدقة تهدد بفنائها وقطع الصلة بالماضي وطمس معالم حضارية لحقبة مهمة من التاريخ الإسلامي وهي الحقبة العثمانية، ويزداد حجم الخطر عليها في ظل غياب التشريع الرادع والقانوني، فضلاً عن قلة الوعي لساكنيها بضرورة الحفاظ عليها، وتتمثل هذه الأخطار التي تم الوقوف عليها من خلال المسح الميداني بالاتي:

أ. الهـــدم

تواجه المساكن التاريخية في منطقة الدراسة للهدم من قبل شاغليها بشكل مستمر وذلك في ظل غياب الرقابة القانونية والمتابعة من الجهات المسئولة عن ذلك وهي دائرة الآثار وبلدية الزبير، والتي من المفترض ان يكون لها دور فاعل لهذا التعدي من خلال زيادة الرقابة والمتابعة لضمان عدم قيام ساكنيها بهدمها بمعزل عن الجهات المسئولة، ويتم هدمها لأسباب مختلفة منها:-

١. رغبة ساكنيها في استثمارها في عمل محلات تجارية ومشاريع استثمارية تدر عليهم دخلاً سيما وان تلك المباني معظمها يقع وسط المدينة بالقرب من مركزها التجاري حيث ارتفاع أسعار الأرض صورة (٨) توضح ذلك.

---

* الباكديرات كلمة فارسية اصلها بادگير (ممر الهواء) ولكن سكان المدينة حرفوها الى كلمة باگدير

صورة (٨) توضح فتح محلات تجارية من احد البيوت الأثرية

المصدر: الدراسة الميدانية، صورت بتاريخ ٧-٣-٢٠١١

٢. الحاجة إلى توسع بعض الشوارع أو تطوير البنية التحتية في بعض المناطق القديمة في المدينة وهذا ما يستدعي بعض الأحيان هدم بعض المباني الأثرية أو جزء منها ويرجع هذا القصور في مخططات التطوير الحضري التي تقوم بها الدولة

٣. العوامل البيئية مثل الأمطار والرياح التي تؤثر بشكل مباشر على المباني الأثرية وتسبب هدم أجزاء منها، ففي عام ١٩٨٦ سقطت امطار غزيرة على المدينة مما ادي الى تجمعها في الازقة الضيقة لتلك البيوت وعدم وجود شبكة لتصريف مياه الامطار الامر الذي ادى الى سقوط حوالي ٤٠٠ دار سكنية.

بدالهجـــرة

ترجع جميع المباني السكنية في منطقة الدراسة الى جنسيات خليجية لاسيما أهالي نجد في السعودية وهم أول من سكن مدينة الزبير وقد هجرها الكثير من أصحابها خلال

الحرب العراقية الإيرانية في عام ١٩٨٠ وكذلك بعد حرب الخليج عام ١٩٩٠، وأخر (٢٣) عائلة هاجرت بعد احتلال بغداد بتاريخ ٢٠٠٣/٩/٤* وقد سكن هذه البيوت آخرون من أهالي مدينة الزبير ومن خارج المدينة وخاصة من محافظتي ذي قار ميسان، فضلا عن المهاجرين من اقضية البصرة وخاصة من الفاو وابو الخصيب نتيجة الحرب العراقية الايرانية من قبل وكلاء لأصحاب هذه الدور وبأحور رمزية، بهدف الحفاظ عليها من التخريب، وقد نتج عن هذه الهجرة العديد من الأضرار التي تفاقمت مع الزمن ويمكن تلخيص تلك الأضرار بالاتي:

١. عدم الصيانة والاعتناء بالبيت مما يؤدي الى الكثير من الأضرار مثل نمو النباتات على الجدران والأسقف والأرضيات والتي تؤدي الى حدوث التشققات التي تزداد مع الوقت.
٢. استخدامها في وظيفة غير تلك التي صممت من اجلها فالكثير من المباني السكنية قد تم تحويلها الى محلات تجارية او مخازن مما يعرضها للضرر نتيجة للتحوير في المبنى او إضافة مواد بناء جديدة لا تتناسب مع طبيعة المبنى.
٣. اتباع طرائق خاطئة في الترميم وإصلاح المبنى واستخدام مواد بناء غير مناسبة مما يلحق الضرر بالمبنى أكثر من النفع، وقد تبين في كثير من الحالات قيام ساكني تلك البيوت وبحسن نية ورغبة منهم في إصلاحها باستخدام مواد مثل الإسمنت في إكساء جدرانها الداخلية للمحافظة عليها جهلاً منهم بطبيعة مادة الطين المخلوط بالرمل والذي يشكل مادة البناء الأساس لهذه البيوت ما تحتاجه إلى تهوية مستمرة للتخلص من الرطوبة، وعدم معرفتهم لما يقوم به الإسمنت من منع تلك التهوية وحجز الرطوبة داخل الجدران مما يسبب تآكله، ناهيك عن إخفاء شكل المبنى الأثري وضياع معالمه التقليدية ليصبح كأنه مبنى حديث بطراز قديم

* مقابلة مع احد مشايخ الزهيرية بتاريخ ٢٧ / ١ / ٢٠١١

٤. التوسع في فراغات المبنى لتلبية الزيادة في احتياجات ساكنيه اما بإضافة غرف ملحقة بالمبنى مما يؤدي الى تشويه تصميمه المعماري القديم.

٣. واقع البيوت الأثرية في مدينة الزبير

للوقوف على واقع البيوت الأثرية في مدينة الزبير قام الباحث بأعداد استمارة استبانة وتوزيعها على سكان هذه البيوت وقد شمل الاستبيان مجموعة من الأسئلة التي تهدف الى معرفة معلومات أساسية حول وضع المبنى ومدى معرفة ساكنيه لقيمته التاريخية ورغبتهم في ترميمه فضلاً عن تحديد المعوقات التي تواجههم لتحقيق ذلك وقد كان من نتائج الاستبانة الوقوف على كثير من المعوقات التي لم تكن معروفة عن حالة تلك المباني والتي تم استعراضها على هيئة اشكال بيانية توضح النتائج على شكل نسب مئوية مما يسهل قراءتها وفيما يلي استعراض تلك النتائج:

١- سكان البيوت

لقد تبين من استمارة الاستبانة ان غالبية البيوت السكنية القديمة التي تم دراستها تستخدم في السكن وان جميع سكانها هم مستأجرون من قبل وكلاء لأصحابها الشرعيين الذين هاجروها كما ذكرنا سابقاً، انظر جدول(١) وشكل(١).

جدول (١)

ملكية البيوت الأثرية في مدينة الزبير وفق المسح الميداني ٢٠١١

السكن	العدد	%
ملك	٠	٠
إيجار	٤٠	% ١٠٠
مجموع	٤٠	% ١٠٠

المصدر: نتائج استمارة الاستبانة

شكل (١)

ملكية البيوت الأثرية في مدينة الزبير وفق المسح الميداني ٢٠١١

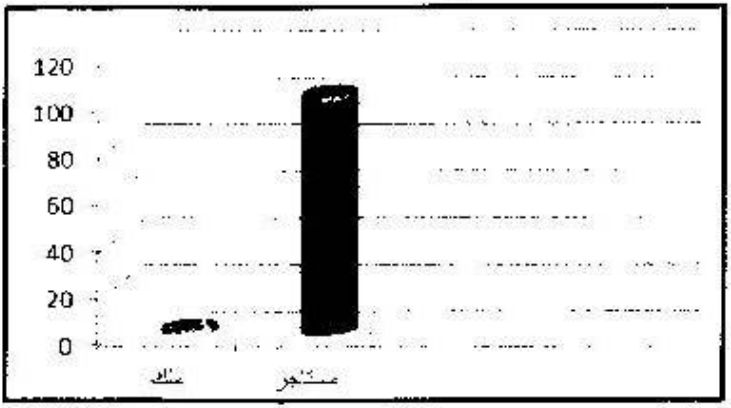

المصدر: بيانات جدول (١)

٢- حالة البيوت

أشار معظم ساكني البيوت التاريخية(٨٠ %) إلى أن حالة البيوت التي يسكنوها هي رديئة وتحتاج إلى الإصلاحات، جدول (٢)، وتبلغ نسبة البيوت في حالتها المقبولة (١٥ %) على رأي ساكنيها بينما ذكر نسبة قليلة(٥ %) من مجموع السكان المبحوثين بأن المسكن في حال جيدة كما في شكل(٢).

جدول (٢)

حال البيوت الأثرية في مدينة الزبير وفق المسح الميداني ٢٠١١

حالة البيت	العدد	%
جيد	٢	٥
مقبول	٦	١٥
رديء	٣٢	٨٠
مجموع	٤٠	%١٠٠

المصدر: نتائج استمارة الاستبانة

شكل (٢)
حال البيوت الأثرية في مدينة الزبير وفق المسح الميداني ٢٠١١

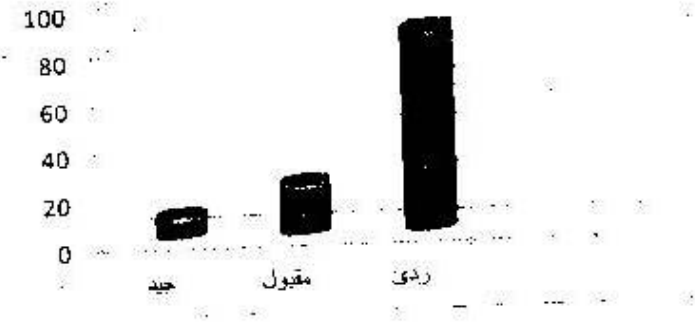

المصدر: بيانات جدول (٢)

٢- المعرفة بقيمة البيت التاريخية

وحول معرفة السكان بالقيمة التاريخية والحضارية للبيوت التي يسكنوها أشار(٦٥ %) بمعرفتهم بذلك واهتمامهم بهذا الأمر، جدول(٣)، اما من يعرفون ولكن لا يعيرون لذلك اي اهتمام فكانت نسبتهم(١٥ %)، بينما أوضح(٢٠ %) من مجموع أفراد العينة عدم معرفتهم بقيمة البيوت الأثرية او اهتمامهم بهذا الأمر، شكل (٣)

جدول (٣)
المعرفة بقيمة البيت الأثري لمدينة الزبير وفق المسح الميداني ٢٠١١

قيمة البيت	العدد	%
اعرف واهتم	٢٦	٦٥
اعرف ولا اهتم	٦	١٥
لا أعرف	٨	٢٠

مجموع	٤٠	%١٠٠

المصدر: نتائج استمارة الاستبانة

شكل (٣)
المعرفة بقيمة البيوت الأثرية في مدينة الزبير وفق المسح الميداني ٢٠١١

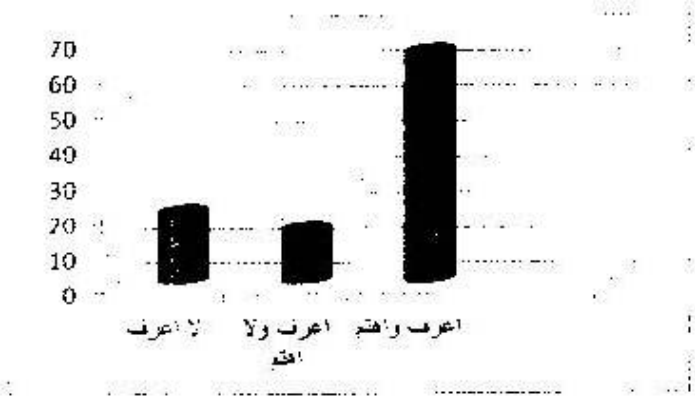

المصدر: بيانات جدول (٣)

وعند السؤال عما يعنيه لهم كون البيت الذي يسكنون فيه اثري أجاب غالبية السكان(٧٥ %) بأن ذلك يعني ان البيت مهم ويجب الحفاظ عليه جدول (٤) وهو ما يدل على حرص هؤلاء السكان على الحفاظ على تلك المباني عند معرفتهم بقيمتها الأثرية، علماً ان(٢٥ %) منهم عبروا عن عدم اكتراثهم لهذا الامر، انظر شكل(٤).

جدول (٤) قيمة البيوت الأثرية في مدينة الزبير وفق المسح الميداني ٢٠١١

أهمية البيت	العدد	%
يجب الحفاظ عليه	٣٠	٧٥
لا يعني شيء	١٠	٢٥
المجموع	٤٠	% ١٠٠

المصدر: نتائج استمارة الاستبانة

شكل (٤)

قيمة البيوت الأثرية في مدينة الزبير وفق المسح الميداني ٢٠١١

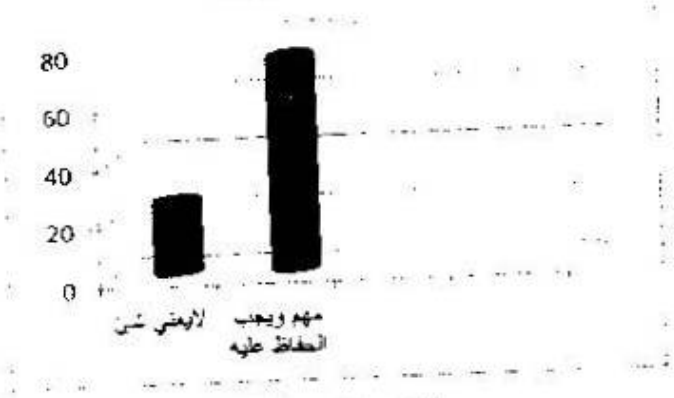

المصدر: بيانات جدول (٤)

٤- سبب اختيار البيت

وعن أسباب السكان للعيش في تلك البيوت أشار (٧٠ %) بأن ذلك يرجع إلى انخفاض أجوره السوية بينما أشار (٢٠ %) بأن سبب اختيارهم هو للموقع القريب من المركز التجاري، أمّا كون البيت اثري فقد بلغت نسبتهم(١٠ %)، انظر جدول (٥) و شكل (٥)

جدول (٥) سبب اختيار البيوت الأثرية في مدينة الزبير وفق المسح الميداني ٢٠١١

السبب	العدد	%
ملك خاص	٠	٠
إيجار منخفض	٢٨	٧٠
البيت اثري	٤	١٠
الموقع	٨	٢٠
المجموع	٤٠	%١٠٠

المصدر: نتائج استمارة الاستبانة

شكل (٥)
سبب اختيار البيوت الاثرية في مدينة الزبير وفق المسح الميداني ٢٠١١

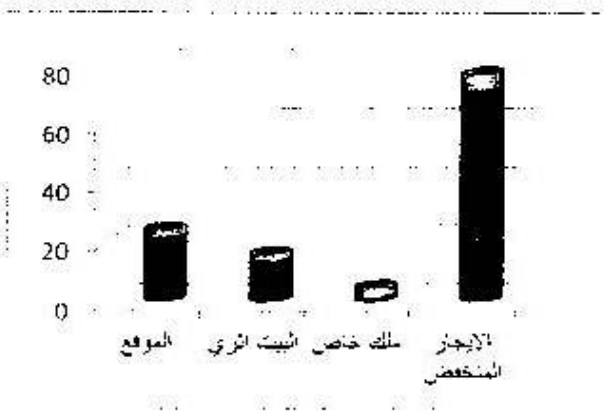

المصدر: بيانات جدول (٥)

٥- القيام بأعمال ترميم سابقة

أوضحت نتائج الاستبانة الى ان(٩٥ %) من السكان قاموا في السابق بأعمال ترميم وصيانة لبيوتهم بغض النظر عما اذا كان ذلك حسب الأصول وبما يتوافق مع طبيعة البيوت الأثرية وما تحتاجه من عناية خاصة ام لا، كما في جدول (٦) يذكر بان معظم تلك الأعمال ضمن أعمال الصيانة العادية الغير متخصصة مثل إصلاح بعض الأعطال في المبنى، بينما أشار(٥ %) فقط بعدم القيام باي أعمال سابقة، لاحظ شكل (٦).

جدول (٦)
القائمين بأعمال الترميم للبيوت الأثرية في مدينة الزبير وفق المسح الميداني ٢٠١١

الترميم	العدد	%
نعم	٣٨	٩٥
لا	٢	٥
مجموع	٤٠	١٠٠ %

المصدر: نتائج استمارة الاستبانة

شكل (٦)
القائمين بأعمال الترميم للبيوت الأثرية في مدينة الزبير وفق المسح الميداني ٢٠١١

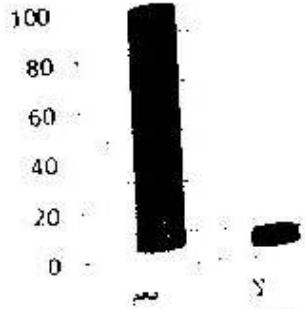

المصدر: بيانات جدول (٦)

٦- القائمون بأعمال الترميم والإصلاح

ومن خلال بيانات جدول (٧) التي توضح القائمين بأعمال الترميم السابقة والتي هي في مجملها إصلاحات عامة غير متخصصة ولا تتناسب مع ما يحتاجه المبنى من عناية خاصة من خلال معرفة من قام بتلك الأعمال اذ تبين ان (٧٢.٥ %) ممن قاموا بتلك المهام كانوا عمال بناء غير متخصصين وان (٢٧.٥ %) كانوا من ساكني تلك المباني والذين قاموا بتلك الإصلاحات بأنفسهم وقد تبين عدم وجود اي مكتب هندسي للقيام بذلك، انظر شكل (٧)

جدول (٧)
القائمين بأعمال الترميم للبيوت الأثرية في مدينة الزبير وفق المسح الميداني ٢٠١١

القائم بالعمل	العدد	%
عمال بناء	٢٩	٧٢.٥
ساكن البيت	١١	٢٧.٥

مكتب هندسي	٠	٠
مجموع	٤٠	١٠٠ ٪

المصدر: نتائج استمارة الاستبانة

شكل (٧)

القائمين بأعمال الترميم للبيوت الأثرية في مدينة الزبير وفق المسح الميداني ٢٠١١

المصدر: بيانات جدول (٧)

٧- الرغبة في ترميم البيت

أكد اغلب السكان المستهدفين (٧٠٪) برغبتهم وموافقتهم على ترميم البيوت بالطرق الصحيحة حفاظا عليها من الأضرار وكذلك تحسينا لها لتلائم متطلباتهم المعيشية، جدول (٨) قد اظهر(١٠٪) منهم بعد رغبتهم في ذلك، كما بين(٢٠٪) بعدم قدرتهم على اتخاذ القرار بخصوص ذلك لكونهم مستأجرين، شكل(٨).

جدول (٨)

الرغبة في ترميم البيوت الأثرية في مدينة الزبير وفق المسح الميداني ٢٠١١

الرغبة	العدد	٪
نعم	٢٨	٧٠
لا	٤	١٠
لا املك القرار	٨	٢٠

مجموع	٤٠	١٠٠ %

المصدر: نتائج استمارة الاستبانة

شكل (٨)
الرغبة في ترميم البيوت الأثرية في مدينة الزبير وفق المسح الميداني ٢٠١١

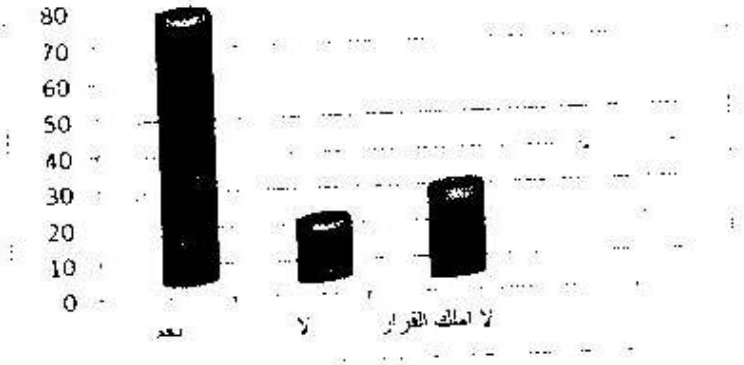

المصدر: بيانات جدول (٨)

٨- معوقات الترميم

من المعوقات التي تواجه السكان الراغبين في ترميم البيوت أشار (٦٥ %) أن العائق الأساس هو عدم توفر المال اللازم لذلك ومن الأسباب الأخرى التي أشار لها البعض هو عدم توفر متخصصين في الترميم وكانت نسبتهم (٥%) أمّا الذين لا يملكون القرار بلغت نسبتهم (٣٠ %)، انظر جدول(٩) و شكل (٩).

جدول (٩)
معوقات الترميم للبيوت الأثرية في مدينة الزبير وفق المسح الميداني ٢٠١١

المعوق	العدد	%
المال	٢٦	٦٥
لا يوجد متخصصين	٢	٥

لا امللك القرار	١٢	٣٠
مجموع	٤٠	١٠٠ %

المصدر: نتائج استمارة الاستبانة

شكل (٩)

معوقات الترميم للبيوت الأثرية في مدينة الزبير وفق المسح الميداني ٢٠١١

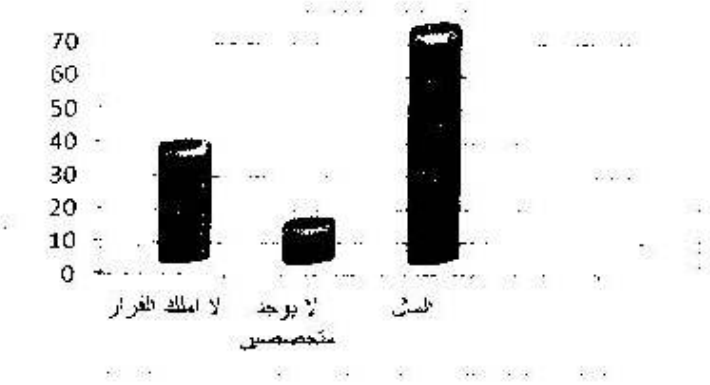

المصدر: بيانات جدول (٩)

يظهر مما تقدم ومن خلال المسح الميداني ونتائج الاستبانة الوقوف على بعض النتائج المهمة التي تعكس واقع المباني السكنية الأثرية ونظرة ساكنيها لها ومدى قبولهم لفكرة ترميمها والحفاظ عليها ويمكن اجمال تلك النتائج بما يأتي:

١-جميع المباني السكنية الأثرية هي مستأجرة لأفراد من المجتمع وان اغلبها يستخدم للسكن وهو ما يجعل من الصعب التدخل من اجل الحفاظ عليها لأن جميع مالكيها هاجروا الى دول الخليج لذلك يجب تدخل الدولة في حسم هذا الامر.

٢-ان اغلب البيوت السكنية الأثرية المسكونة في حالة رديئة حسب راي ساكنيها بمعنى ان اعادة تأهيلها يكون مكلفاً كثيراً وهذا ما يشجع اكثر للحفاظ عليها.

٣- اكثر من(٢٦%) من السكان لا يعرفون قيمة تلك البيوت الاثرية وما تمثله من قيمة تاريخية وهو ما يتطلب ضرورة العمل على زيادة التوعية من خلال اعداد

برامج توعية مكثفة لأصحاب وسكان تلك المباني على اعتبار ان التوعية والقناعة بأهمية تلك المباني هي الخطوة الاولى للحفاظ.

٤-جميع اعمال الصيانة التي قام بها ساكنو هذه البيوت تندرج ضمن اعمال الصيانة العادية وهذا يشير بعدم معرفة ساكني هذه البيوت بالطرق الصحيحة في الترميم والتعامل مع المباني الأثرية.

٥-هناك رغبة من بعض ساكني هذه البيوت في ترميم بيوتهم حسب الطرائق الصحيحة وهم محمولون من قبل أصحابها المشرعين أو عن طريق مخاضنة وكلائهم الموجودين في المدينة وهو ما يشجع الجهات المختصة للحفاظ عليها.

٦-العائق الأساس للراغبين في ترميم البيوت هو عدم قدرتهم لتوفير المال اللازم لترميمها بالطرائق الصحيحة

٤-الخلاصة والتوصيات

تشكل المواقع والمباني السكنية نسبة لابأس بها من تراث معماري في مدينة الزبير، وهي تعكس بتصميمها المعماري وعناصرها المختلفة طبيعة حقبة تاريخية من تاريخ المدينة وتمثل جانباً حضارياً مهماً يجدر الاهتمام به والمحافظة عليه، ومع ذلك تواجه تلك المواقع والمباني مجموعة من الاخطار والمهددات والتي في حالة استمرارها يفقد جزء كبير منها وما تمثله من تراث حضاري في المدينة، وهو ما يتطلب من الجميع العمل الجاد للحفاظ عليها وفي هذا الاطار فان الدراسة تحمل بعض التوصيات والمقترحات للتغلب على تلك المعوقات لتسهم في الحفاظ وتخفيف ما تعانيه المواقع والمباني الاثرية في مدينة الزبير من اساءة واهمال وذلك من خلال العمل على تحقيق الاتي:

١. توثيق التراث المعماري لاسيما المباني السكنية وتوفير قاعدة بيانات متكاملة حولها للمساهمة في وضع آليات التدخل المناسبة للحفاظ عليها.

٢. تفعيل القوانين والتشريعات المتعلقة بالحفاظ على المواقع التراثية ووضع الاليات

التي تضمن تنفيذها على الوجه الاكمل.

٣. وضع خطة تنفيذية متكاملة للحفاظ على المواقع والمباني السكنية والاثرية مشترك في اعدادها جميع الجهات المختصة والمعنية.

٤. توفير التمويل اللازم للقيام بمشاريع الترميم والحفاظ على التراث المعماري.

٥. تدريب كفاءات محلية من مهندسين ومشرفين وعمال على القيام بمشاريع الحفاظ والترميم المعماري من خلال استحداث برامج دراسية متخصصة فضلاً عن عقد دورات ودروس لتنمية المهارات العملية في هذا المجال.

٦. زيادة الوعي لدى اصحاب القرار في المؤسسات والجهات المسئولة فضلاً عن شرائح المجتمع المختلفة بأهمية وضرورة المحافظة على التراث المعماري وذلك من خلال تنظيم حملات إعلامية ومحاضرات توعية ومنشورات تعريفية.

٧. رفع التجاوزات المتمثلة بمعامل الجص والحصى والاسفلت والدور السكنية المشار اليها سابقاً ومحاسبة القائمين برمي الانقاض والنفايات

٨. احاطة المواقع الاثرية بأسيجة واقية مزودة بلوحات دلالة واضحة المعالم

٩. تعيين الحراس المدربين وبأعداد تتناسب واهمية المواقع الاثرية

١٠. تعزيز الكادر الاداري والعلمي لمفتشية الاثار البصرة ليتسنى لهم القيام بواجبها على الوجه الاكمل.

الهوامش

(١)جمال عليان، الحفاظ على التراث الثقافي، مطابع السياسة، الكويت، ٢٠٠٥، ب ص.

(٢)محمد خضير، بصرياثا، منشورات الامد، بغداد، ١٩٩٣، ص٩٠.

(٣)محمد بن سعيد الرقراق، لمحات من ماضي الزبير، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ١٩٩٤، ص١٢.

(٤)توسلاف مارا سونيينج، المدن التاريخية سبل الحفاظ عليها واحيائها، ترجمة عرفان سعيد، المركز الاقليمي لصيانة الممتلكات الثقافية في الدول العربية، بغداد، ١٩٨٥، ص٤٦

(٥)http:llWWW.dooosha.com lvalshowreed.php?=3112.

(٦)وزارة الحكم المحلي، المديرية العامة للتخطيط العمراني، التخطيط الحضري لمدينة النجف، ١٩٨٨.

المصادر

١- توسلاف مارا سونيينج، المدن التاريخية سبل الحفاظ عليها واحيائها، ترجمة عرفان سعيد، المركز الاقليمي لصيانة الممتلكات الثقافية في الدول العربية، بغداد، ١٩٨٥.

٢- جمال عليان، الحفاظ على التراث الثقافي، مطابع السياسة، الكويت، ٢٠٠٥.

٣- محمد بن سعيد الرقراق، لمحات من ماضي الزبير، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ١٩٩٤.

٤- محمد خضير، بصرياثا، منشورات الامد، بغداد، ١٩٩٣.

٥- وزارة الحكم المحلي، المديرية العامة للتخطيط العمراني، التخطيط الحضري لمدينة النجف، ١٩٨٨.

٦-http:llWWW.dooosha.com lvalshowreed.php?=3112